المحاضرة الأولى: النقد العربي مفهومه وتطوره وجغرافيته في المشرق والمغرب

النقد أمر فطري في الإنسان، فالإنسان يبتهج لرؤية منظر حسن، ويشمئز من المنظر القبيح، لذا فإنه يميز بين القبح والجمال، ويميل إلى صوت البلبل الصداح، وينفر من نعيق الغراب وفحيح الأفعى.

هكذا نجد التمييز بين الخير والشر، والقبح والجمال، أمرا فطريا في الإنسان وجد معه. وقد نشأ عند العرب في عصور مبكرة ولكنه كان فطريا يعتمد على الإحساس والذوق ،فما مفهوم النقد ؟ وكيف تطور عند العرب في المشرق والمغرب ؟

النقد لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (نقد):" النقد خلاف النسيئة، والنقد التنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، أنشد سيبوية:

تَنْفِي يَدَاهَا الحَصَى فِي كُلّ هَاجِرَةٍ نَفْيَ الدّرَاهِمِ تِنْقَادَ الصَيَارِيف

و قد نقدها ينقدها نقدا وانتقدها وتنقدها ونقده إياها نقدا، أعطاه فانتقدها أي قبضها وناقدت فلانا إذا ناقشته في الأمر.

نقد الطائر الفخ ينقده بمنقاره أي ينقره، والمنقاد منقاره، وفي حديث أبي الدرداء: إن نقدت الناس نقدوك، وإذا تركتهم تركوك، ونقدت الجوزة انقدها إذا ضربتها، ونقدته الحية لدغته".

ويمكن استخلاص معاني كلمة نقد مما سبق كما يلي:

فهي تعني تمييز الدراهم صحيحها من زائفها، وتعني الإعطاء والمنح، وتعني كذلك المناقشة وتعني إظهار العيوب وتمييز الجيد من الرديء وتعني كذلك الإيذاء.

وقد استعارها الباحثون في النصوص الأدبية ليدلوا بها على الملكة التي يستطيعون بها معرفة الجيد من النصوص والرديء والجميل والقبيح وما تنتجه هذه الملكة في الأدب من ملاحظات وآراء وأحكام مختلفة.

وعليه فالنقد تحليل القطع الأدبية وتقدير ما لها من قيمة فنية أو هو المرآة الصادقة التي تعكس نواحي الجمال والحسن في العمل الأدبي، كما تقف على مظاهر القوة والضعف فيه.

الأدب والنقد:

من الواضح أن الأدب وجد أولا ثم يوجد نقده " لسبب بسيط وهو أن النقد يتخذه موضوعا له ومن هنا ينشأ الفرق البين بينهما، فالأدب موضوعه الطبيعة والحياة الإنسانية والنقد موضوعه الأدب ".

كما هناك فرق بين تاريخ الأدب والنقد فالأول يتناول كل الآثار العقلية والشعورية عند الأمة متعقبا لها مع دورات التاريخ، أما النقد فلا يحاول هذا التاريخ الكبير إذ حسبه أن يقف عند الأدباء وما صاغوه من أثار فنية ليحللها ويقومها، ومعنى هذا أن تاريخ الأدب يختلف عن النقد من حيث موضوعه وطريقة معالجته.

النقد والبلاغة:

إن موضوع النقد والبلاغة هو الأدب، وعليه فلا يختلفان في الموضوع، وإنما يختلفان من حيث المعالجة وطريقة العرض، فالبلاغة لا تعنى بالصلة بين الأثر الأدبي وصاحبه ولا تعني كذلك بالقيم العقلية والعاطفية في النص، وإنما تعنى بنظرية الأسلوب وخصائصه وما يحتوي من مجازات وكنايات، ولذلك فهي تصف وتعلم، أما النقد فيحلل الظاهر والباطن في الأعمال الأدبية.

وفي النقد العربي فإن التأليف في البلاغة امتزج في أول الأمر بالنقد، فلم تؤلف كتب منفردة في البلاغة إلا في نهاية القرن الرابع الهجري، أما قبل ذلك فكان ثمة امتزاج واضح بين مدلول النقد ومدلول البلاغة، كما نرى في كتاب البديع لابن المعتز (296هـ)، وكتاب الموازنة للآمدي (371هـ)، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (395هـ)، والوساطة للقاضي الجرجاني (392هـ)، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (471هـ)... وغيرها.

تطور النقد العربي وجغرافيته:

لقد كان النقد العربي في مراحله الأولى نقدا تأثريا يعتمد على الانطباع الذاتي البحت، دون اتكاء على عمليات ذهنية موجهة، أي دون أسس نظرية، ثم جاء العصر الإسلامي فنما النقد ونهض الشعر، واختصم الشعراء حول هذا الدين الجديد، ولما تقدم القرن الأول قويت نهضة الشعر، ونما وازدهر في العصر الأموي وذلك في ثلاث بيئات: (الحجاز، العراق، الشام)، أما عداها كفارس ومصر والمغرب فلم يزدهر فيها في هذا العصر أدب ولا نقد.

وتبع النقد مجريات الحركة الأدبية فاتجه أكثره إلى التفضيل بين الشعراء خاصة بين جرير والأخطل والفرزدق.

ويتلخص أن النقد حتى العصر الأموي لم تظهر فيه مدارس نقدية واضحة المعالم، وأن النقد ظل قريبا مما كان عليه في الجاهلية قائما على الذوق جزئيا غير معلل في كثير من الأحيان، ولما جاء العصر العباسي ظهرت ثلاث طوائف تنظر في الأحكام النقدية وتناقشها وتضع المؤلفات النقدية، فالطائفة الأولى هي طائفة الأدباء من شعراء وكتاب والثانية طائفة اللغويين التي اهتمت برواية الشعر ونقده كالأصمعي، أما الطائفة الثالثة فطائفة المتكلمين التي أسهمت في تطوير أمور النقد والبلاغة.

ولما جاء القرن الثالث ظهر لنا ابن سلام الجمحي بكتاب طبقات فحول الشعراء، الذي يشير إلى قضايا نقدية كالمفاضلة بين الشعراء والانتحال، ثم الجاحظ بالبيان والتبيين والحيوان، ثم ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء.

وفي القرن الرابع ألف ابن طباطبا عيار الشعر وقدامة بن جعفر نقد الشعر وفيه الأثر اليوناني، فأصبح للنقد أسس ومناهج متبعة، وهذا ما أثمر كتابين جديدين وهما الموازنة للآمدي والوساطة للقاضي الجرجاني، ثم ظهر النقد البلاغي على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة في القرن الخامس الهجري.

هذا وقد ظهر النقد في المغرب والأندلس متأثرا بالنقد في المشرق وظهرت مؤلفات منها العمدة لابن رشيق والعقد الفريد لابن عبد ربه. وهكذا تواصلت المؤلفات حتى ابن خلدون ومقدمته (808 هـ).

المصادر و المراجع:

-شوقي ضيف:النقد

- محمد إبراهيم نصر، النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

- محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس.
-إحسان عباس:تاريخ النقد الأدبي عند العرب.